الرحلات الاستكشافية النمساوية في ليبيا خلال سبعينيات القرن التاسع عشر

أ. عبدالله ابراهيم الشاعث •

تاريخ الارسال: 2025/03/14 تاريخ القبول: 2025/04/09 تاريخ النشر: 2025/07/01

المستخلص:

شهدت ليبيا خلال سبعينيات القرن التاسع عشر اهتماماً ملحوظًا من قِبل الرحالة النمساويين، وقد جاء هذا الاهتمام النمساوي مناخراً جدًا، قياساً على بقية الدول الأوروبية، إن هذا الاهتمام وفي ذلك الوقت تحديدًا، يوحي بأن النمسا كانت متوجهة نحو ليبيا كنقطة استراتيجية تخدم مصالحها في افريقيا، وقد غطت الرحلات الاستكشافية النمساوية معظم أنحاء البلاد، مما مكَّن الرحالة النمساويين من تسجيل ملاحظاتهم عن جغرافية ليبيا وسكانها، واوضاعها السياسية والاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: النمسا، ليبيا، الرحالة، استكشاف.

Austrian trips and Geographical exploration in Libya during 1870s

Abdallah Ibrahim Al-Shaith

Abstract:

During the 1970s, Libya witnessed remarkable attention from the Austrian travelers, and this Austrian interest came in a very laugh, compared to the rest of the European countries, that this interest and at that time specifically suggests that Austria was heading towards Libya as a strategic point that serves its interests in Africa. The Austrian exploratory trips covered most parts of the country, which enabled them to record their observations about the geography of Libya and its residents, and its political and social conditions.

Keywords: Austria, Libya, Travelers, Exploration.

• جامعة عمر المختار / البيضاء / ليبيا

المقدمة:

منذ مطلع القرن الثامن عشر كانت كثير من البلدان الأوروبية مهتمة بأستكشاف الأراضي الليبية، ومن مظاهر هذا الاهتمام توافد أعداد من الرحالة الأوروبيين على الأراضي الليبية، وكانت هذه الرحلات تنطلق من دوافع متعددة، منها ما هو سياسي يرتكز بالدرجة الأولى على تنمية وحماية مصالح بعض الدول الأوروبية في ليبيا، بل ويصل أحيانا إلى حد التجسس ودراسة مدى امكانية وجدوى غزو البلاد، وبعض هذه الرحلات كانت تنطلق من دوافع اقتصادية تتعلق بدراسة ثروات البلاد ومدى صلاحية الموانئ الليبية وجاهزيتها لحركة الاستيراد والتصدير، بالإضافة إلى الدوافع الدينية والمتمثلة في جهود بعض الجمعيات التنصيرية الهادفة إلى نشر المسيحية والدعوة لها بأساليب مختلفة، مع ملاحظة أن الدافعان السياسي والاقتصادي لا يتوقفان على الأراضي الليبية نفسها؛ بل إن كثير من الرحالة الأوروبيين لم تكن ليبيا تعني لهم سوى ممر للعبور إلى مناطق وسط افريقيا.

كما إن الآثار اليونانية والرومانية التي تحفل بها كثير من المدن والمواقع في ليبيا كانت أيضا عامل جذب لكثير من الرحالة الأوروبيين، لدراستها احياناً، ولسرقتها وتهريبها أحيانًا أخرى.

وعلى الرغم من وجود الدوافع العلمية وحتى الشخصية لدى كثير من الرحالة الأوروبيين؛ إلا إن هذان الدافعان لا يرتقيان إلى مستوى الدوافع السابقة، فهذين الدافعين الأخيرين يمكن اعتبارهما ضمن الدوافع الثانوية، والتي بدورها تحتاج إلى قوة سياسية تدعمها؛ إذ إنه حتى الرحالة المنطلقين من دوافع علمية قد تم اعدادهم وتوجيههم وجهة سياسية من قبل حكومات بلدانهم.

ومن خلال تتبع مسار هذه الرحلات نجد أن الجنسيات الأكثر نشاطاً هي: الإيطالية والبريطانية و الفرنسية والألمانية على التوالي، وهذا أمر غير مستغرب، كون هذه الدول هي الأكثر نشاطاً في مجال الاستعمار، غير إنه يلاحظ أن بعض الدول الأوروبية قد أبدت نشاطاً طفيفاً ومحدوداً في هذا المجال، ومن بين هذه الدول تأتي النمسا، والتي تميز نشاطها الاستكشافي في ليبيا بأنه بدأ بشكل مفاجئ في سبعينيات القرن التاسع عشر، لينتهي أيضًا بشكل مفاجئ.

مما يعكس اهتماماً نمساويا بليبيا خلال تلك الحقبة، وما يزيد من أهمية التوجه النمساوي نحو الأراضي الليبية هو تزامنه مع نشاط ملحوظ للرحالة النمساويين في قارة أفريقيا عمومًا، وعلى الأخص في منطقة الصحراء الكبرى ووسط افريقيا، وهي مناطق متاخمة لليبيا، وقد تميز نشاط الرحالة النمساويين في ليبيا بأنه قد غطى معظم أنحاء البلاد، في ما يشبه مسح شبه شامل للأراضي الليبية خلال الفترة ما بين 1873/ 1879م.

أهداف البحث:

نهدف من هذا البحث إلى دراسة دوافع الاهتمام النمساوي بأستكشاف الأراضي الليبية خلال سبعينيات القرن التاسع عشر، ومدى ارتباطه بحركة الاستكشاف النمساوية في قارة أفريقيا عمومًا، وكذلك قياس مدى المشاركة النمساوية في حركة الاستكشاف الأوروبية في ليبيا.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يتناول حركة الاستكشاف النمساوية في ليبيا كظاهرة في حد ذاتها، كما إن تضييق نطاق البحث يعد أيضا على جانب من الأهمية؛ حيث أن دراسة الرحلات والكشوف الأوروبية بشكل عام، وعلى مدار فترة زمنية طويلة؛ لا يتيح التوصل إلى نتائج دقيقة؛ وبالتالي فإن اقتصار هذا البحث على دراسة نشاط الرحالة النمساويين فقط، وخلال فترة زمنية محدودة يزيد من فرص الحصول على نتائج أكثر دقة.

منهجية البحث: لقد استخدمت في هذا البحث المنهج السردي التاريخي القائم على العرض التسلسلي للأحداث وفق ما تقتضيه طبيعة الموضوع.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من: تمهيد يتناول حركة الاستكشاف الأوروبية الحديثة في ليبيا، والحضور النمساوي المتأخر، ثم ثلاثة مباحث؛ يهتم الأول بعرض تفاصيل رحلة (لودفيغ سلفاتور) عبر الساحل الليبي سنة 1873م، ويأتي المبحث الثاني ليتناول رحلة عالم الجغرافيا (جوزيف شافان) سنة 1876م، في حين يعرض المبحث الثالث لرحلة (ليوبولد فون كسيلاغ) ما بين سنتي 1878 / 1879م، وينتهي هذا البحث بخاتمة تلخص أهم ما توصلت إليه من استنتاجات.

الدراسات السابقة:

بعد المطالعة المبدئية التي سبقت إعداد هذا البحث؛ فقد تبين عدم وجود دراسة تناولت هذا الموضوع بشكل دقيق، حيث إن معظم الدراسات السابقة تتناول نشاط الرحالة الأجانب بشكل عام؛ وبالتالي فإن هذه الدراسات لم تمنح الرحالة النمساويين سوى قدراً ضئيلاً من الاهتمام؛ كما إن أغلبها يركز أكثر على الرحالة البريطانيين والفرنسيين والألمان والإيطاليين؛ كونهم الأكثر مشاركة في هذا المضمار، ولكن مع ذلك فقد لاحظت أن بعض الدراسات قد تناولت نشاط الرحالة النمساويين في ليبيا ولو بشكل جزئي، وعلى نحو موجز، وكانت هذه الدراسات مفيدة لي في هذا البحث، ومن هذه الدراسات على سبيل المثال لا الحصر:

1. دراسة (فلوريان كروب، 2024)

Krobb, Florian. (2024) Österreichische Reisende in Afrika um 1890

ومع أن هذه الدراسة تهتم بفترة زمنية لاحقة للفترة موضوع هذا البحث؛ إلا إنها قد احتوت على تمهيد غني بالمعلومات الهامة لهذا البحث، خاصة فيما يتعلق باهتمام الرحالة النمساويين بمنطقة الصحراء الكبرى خلال سبعينيات القرن التاسع عشر

2. دراسة (فايختنغر و هايس، 2020)

Feichtinger, Johannes. & Heiss, Johann. (2020) Interactive Knowledge – Making : How and Why Nineteenth – Century Austrian Scientific Travelers in Asia and Africa Overcame Cultural Differences

وهذه الدراسة تتناول الدوافع المختلفة للرحالة النمساويين، ومدى ارتباط نشاطهم بتوجهات بلدهم الاستراتيجية في افريقيا بشكل عام، وبالتالي فإنه من خلال هاتين الدارستين وغيرهما، تمكنت من جمع المادة العلمية التي جعلت بالإمكان تضييق النطاق الموضوعي للبحث بحيث يقتصر على الرحالة النمساويين فقط، وكذلك تضييق الفترة الزمنية بحيث تقتصر على سبعينيات القرن التاسع عشر فقط.

تمهيد: الاستكشافات الأوروبية الحديثة في ليبيا والظهور المتأخر للرحالة النمساويين

من الظواهر اللافتة في تاريخ ليبيا الحديث توافد أعداد من الرحالة الأوروبيين إلى الأراضي الليبية، منذ مطلع القرن الثامن عشر، بحيث يصبح بالإمكان الحديث عن حركة استكشافية أوروبية تعددت دوافعها ومراحلها، كما تم التعاطي معها بأساليب مختلفة من قبل السلطات الحاكمة في البلاد وفقاً لظروف كل مرحلة.

لقد شهدت هذه الحركة بعض الفترات الحافلة بالنشاط؛ كما تخللتها أيضا بعض فترات التراجع والفتور، والذي وصل احياناً إلى حد الانقطاع التام، كما حدث خلال الفترة ما بين 1734 – 1767م، والتي انقطع فيها نشاط الرحالة الأوروبيين في ليبيا تمامًا، كما إن الفترة التالية والممتدة ما بين 1767 – 1811م، قد سجلت اقبالاً طفيفاً من الرحالة الأوروبيين على ارتياد الأراضي الليبية؛ وربما يرجع ذلك إلى تردي الحالة الأمنية في البلاد؛ بسبب الحروب بين القبائل، والتي أشار إليها الرحالة البريطاني (جيمس بروس) سنة 1767م (Bruce, 1790, xli – xlvi).

ثم اعقب ذلك بعض الاضطرابات بسبب تمرد بعض القبائل على سلطة حكومة طرابلس الغرب، وهو ما ذكره الرحالة البريطاني (سيمون لوكاس) سنة 1789م، واعتبره سبباً لعرقلة رحلته إلى دواخل البلاد (Chambers, 2024, 464) كما إن مطلع القرن التاسع عشر قد شهد مواجهات بحرية بين ليبيا – الدولة

القرمانلية في ذلك الوقت – وبين الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك خلال الفترة ما بين 1801 – 1805م (Panzac, 2005, 299)؛ وبما أن البلاد كانت في حالة حرب، فمن الطبيعي أن يتأثر نشاط الرحالة الأوروبيين سلباً تبعاً لذلك، في حين شهدت الفترة ما بين 1811 – 1825م مرحلة نشطة جداً للرحالة الأوروبيين في ليبيا، وهذا يعود إلى تمكن حكومة طرابلس الغرب من بسط سيطرتها على معظم مناطق البلاد، وكذلك تعاون حاكم ليبيا (يوسف باشا القرمانلي)، والذي كان يرحب بالرحالة الأوروبيين ويقدم لهم التسهيلات من أجل تحسين علاقاته مع الدول الأوروبية، لتعود هذه الرحلات للانقطاع مرة أخرى ما بين سنتي 1825 – 1845م، حيث لم تشهد البلاد سوى رحلة واحدة قام بها الألماني (كريستيان ايفالد) سنة 1835م (Walbiner, 2021, 861) ويمكن تعليل انقطاع الرحلات الأوروبية بالاضطرابات الداخلية التي شهدتها ليبيا والمتمثلة في ظهور حركات التمرد القبلية مثل تمرد قبيلة (أولاد سليمان)، وسيطرتها على مناطق واسعة في وسط وجنوب غرب البلاد، بالتزامن مع تمرد قبائل (المحاميد) في منطقة جبل نفوسة جنوب العاصمة (Wright, 2012, 83 – 85) .

كما إن مقتل الرحالة البريطاني (ألكسندر لاينج) سنة 1826م وعلى الرغم من وقوعه خارج الأراضي الليبية؛ إلا إنه قد تم اتهام بعض المسؤولين في حكومة طرابلس الغرب بالوقوف خلف هذه الحادثة بالتعاون مع القنصل الفرنسي في طرابلس (Stephen & Lee, 1917, 400)، وبالتالي ووفقاً لكل هذه المعطيات السابقة فإن الأراضي الليبية خلا تلك الفترة باتت غير آمنة بالنسبة للرحالة الأوروبيين، وقد عاد نشاط الرحالة الأوروبيين بوتيرة مرتفعة خلال الفترة ما بين 1846 – 1883م، ليعود للتراجع مرة أخرى حتى مطلع القرن العشرين، بسبب القيود التي فرضتها حكومة طرابلس على تحركات الرحالة، خاصة في المناطق الداخلية، ثم استأنف الرحالة الأوروبيين نشاطهم مع مطلع القرن العشرين حتى سنة 1911م وهي السنة التي شهدت احتلال ليبيا من قبل الجيوش الإيطالية.

ومن ناحية أخرى فإن مسار هذه الرحلات يشير إلى سيطرة جنسيات أوروبية بعينها على حركة الاستكشاف في ليبيا، حيث تبدو الجنسيات الإيطالية والبريطانية و الفرنسية والألمانية هي الأكثر نشاطاً، لكن هذا لا يعني غياب الجنسيات الأوروبية الأخرى، إذ إن بعض البلدان الأوروبية الأخرى قد اشتركت في حركة استكشاف ليبيا، ولكن بأعداد قليلة من الرحالة، فعلى سبيل المثال لدينا رحالان من بولندا، وهما (توماش وولسكي) الذي مر بالأراضي الليبية سنة 1726م، ومواطنه (جلوبوتنوفسكي) الذي زار مدينة طرابلس سنة 1870م (Jarecka – Stepien, 2005, 231) .

ومن السويد جاء (غوران روثمان) في مهمة علمية بتكليف من الأكاديمية الملكية السويدية، ما بين سنتي 1773/ 1776م (Barratte & Durand, 1910, xxv) والأمر نفسه ينطبق على إسبانيا التي جاء منها الرحالة (دومينغو باديا ليبليك) الشهير باسم (علي بك العباسي) والذي مر بمدينة طرابلس في طريقه

إلى المشرق العربي سنة 1805م (Thomas et al, 2024, 512 – 516) ومن مولدوفا في شرق أوروبا جاء الرحالة (جوزيف بنيامين) الشهير باسم (بنيامين الثاني)، والذي زار طرابلس وضواحيها، كما قام بجولة قصيرة في مدينة بنغازي سنة 1851م (Benjamin, 1858, 230 – 237) وفي سنة 1868م جاءت الهولندية (ألكسندرينا تينا)، والتي حاولت السفر إلى أواسط افريقيا عبر الصحراء الليبية؛ إلا إنها قُتلت في أغسطس 1869م (Willink, 2011, 18) ويضاف إلى هذه القائمة الرحالة الروسي (ألكسندر ياليتسييف)، الذي تجول ما بين طرابلس وغدامس سنة 1885م (Zabrodskaia, 1987, 25).

وفيما يخص الرحالة النمساويين فقد وصل منهم ثلاثة إلى الأراضي الليبية، وقد تميز نشاطهم بأنه قد انحصر في فترة سبعينيات القرن التاسع عشر، لينقطع بعد ذلك، وهؤلاء الرحالة هم: (لودفيغ سلفاتور) و(جوزيف شافان) و(ليوبولد فون كسيلاغ).

أما عن دوافع الرحالة النمساويين تحديدًا، فإن انطلاق نشاطهم الاستكشافي في ليبيا بشكل مفاجئ في سبعينيات القرن التاسع عشر، يثير بعض التساؤلات حول طبيعة هذه الرحلات ودوافعها، فعلى الرغم من الخلفية العلمية لمعظم الرحالة النمساويين الذين زاروا الأراضي الليبية؛ إلا إن ارتباطهم بالدوائر السياسية في بلادهم يبدو غير مستبعد، إذ إن الأراضي الليبية كانت تهم النمسا من ناحيتين: الأولى وهي كون ليبيا لا تزال ضمن الولايات العثمانية، وفي ظل الضعف الذي تمر به الأخيرة، فإن كثير من الدول كانت تستعد للانقضاض على الممتلكات العثمانية، وكانت النمسا تحديدًا قد أنشأت معهداً في فيينا لتدريس اللغات الشرقية، ومن بينها اللغة العربية، وذلك لإعداد الرحالة ثقافياً قبل انطلاقهم لاستكشاف الأراضي العثمانية (Feichtinger & Heiss, 2020, 45 – 46)

أما الناحية الثانية فتتمثل في ازدياد التنافس الأوروبي على افريقيا، والذي مثلت الرحلات الاستكشافية مقدمة له، بل إن بعض الدول الأوروبية كانت تستند في ادعاءاتها بملكية بعض المناطق في افريقيا على اسبقية وصول مستكشفيها لتلك المناطق، مثل ألمانيا التي كانت تستند إلى رحلات (غوستاف ناختيجال) في تشاد والكاميرون والتوغو (Seely & Decalo, 2021, 279) وبلجيكا التي كانت تدّعي ملكيتها لحوض الكونغو استناداً إلى الرحلات الاستكشافية التي كان يرعاها ملك بلجيكا (ليوبولد الثاني) (Fitzmaurice, 2021, 424)، وبالتالي فقد تعالت الأصوات في النمسا للحصول على حصتها من الغنيمة الافريقية (Krobb, 2024, 67 – 69).

والواقع أنه لا يمكن تجاهل حقيقة أن نشاط الرحالة النمساويين في ليبيا هو في النهاية جزء من نشاط نمساوي يشمل القارة الإفريقية عمومًا؛ حيث يُلاحظ بوضوح تزامن الاستكشافات النمساوية في ليبيا مع نشاطٍ ملحوظ للرحالة النمساويين في مناطق افريقية غير بعيدة جغرافياً عن ليبيا، ومثال ذلك: الاستكشافات التي

قام بها (أوسكار لينز) في المغرب وصولاً إلى مدينة تمبكتو (شمال جمهورية مالي حاليًا) على الأطراف الجنوبية للصحراء الكبرى سنة 1878م، في نفس الوقت الذي كان فيه نمساوي آخر وهو (رودلف فون سلاتن)، – والشهير باسم (سلاطين باشا) – يتجول في اقليم دارفور السوداني المجاور لليبيا، وعلى الرغم من أن (فون سلاتن) قد دخل في خدمة الحكومة المصرية ثم البريطانية، بِرُتبة ضابط؛ إلا إنه في النهاية يبقى نمساويا، وقد سبق وأن خدم كضابط في الجيش النمساوي (Zur Mühlen, 2010, 211 – 213) مما يعطي تحركاته في الصحراء الكبرى بُعداً سياسياً.

وقد كان الرحالة النمساويون يتحركون في منطقة الصحراء الكبرى، تارة كمبعوثين من قبل الجمعيات الجغرافية الأوروبية، وتارة أخرى كممثلين لبعض الدول، لكنهم في الواقع كانوا يخدمون مصالح بلادهم قبل كل شيء.

1 – رحلة الامير لودفيغ سلفاتور (Ludwig Salvator) 1873 – 1874

ينتمي الأمير (لودفيغ سلفاتور 1847 – 1915) إلى سلالة (هابسبورغ) الملكية النمساوية، وتحديداً إلى فرع (لورين) الذي يحتفظ أُمَراؤه بلقب (ارشيدوق توسكانا)، وكان من تقاليد هذه الاسرة أن تمنح الأمراء الشباب فرصة للقيام برحلة سياحية حول العالم فور إكمال دراستهم (Mader, 2015, 244 – 247)، وقد انطلق الأمير (لودفيغ) في رحلة بحرية على متن السفينة (ميرامار)، تجول خلالها في مصر وليبيا وتونس خلال الفترة ما بين 1872 – 1874م، كما قام برحلة أخرى إلى فلسطين وسوريا ولبنان سنة 1878م.

وتشير معظم المصادر إلى هذه الرحلة على أنها ذات طبيعة سياحية وبدوافع شخصية؛ على عكس معظم الرحالة الأوروبيين الذين ينطلقون في رحلاتهم من دوافع علمية وسياسية، كما إن (سلفاتور) قد حظي برحلة مُريحة مدفوعة التكاليف، ومُحاطة بتعاون السلطات المحلية اينما حل.

وفي أوائل أبريل سنة 1873م انطلق (سلفاتور) من ميناء الإسكندرية باتجاه الغرب حيث السواحل الليبية، وكان نزوله الأول على الشاطئ الليبي في ميناء (البمبة) يوم 6 – ابريل، لينطلق بعدها إلى مدينة درنة والتي وصلها في السابع من نفس الشهر، وقد حظي هناك باستقبال جيد سواءً من السلطات المحلية أو من السكان، وقد اشاد بالتسامح الديني لدى رجال الدين بالمدينة، حيث سمحوا له بدخول المساجد، وهو أمر غير مسبوق بالنسبة للرحالة الأوروبيين السابقين، والذين يلجؤون عادة إلى التنكر وادعاء الإسلام كي يتمكنوا من دخول المساجد (Salvator, 1874, 15 – 16).

ولم يُطِل المكوث في مدينة درنة لأكثر من يوم واحد؛ وربما يرجع السبب إلى انتشار الأمراض المعدية، وخاصة امراض العيون والتي أشار إلى أنها شائعة جداً في المدينة (Hildebrand, 1904, 236)، ثم

انطلق من ميناء درنة إلى مرسى سوسة، من أجل القيام بجولة برية تمتد حوالي 20 كم جنوبًا حيث مدينة شحات؛ وذلك لزيارة آثار مدينة قوريني اليونانية القديمة (Salvator, 1874, 26 – 30)، ثم واصل رحلته بمحاذاة الساحل حتى مدينة بنغازي، والتي كانت العاصمة الإدارية لإقليم برقة التابع لولاية طرابلس الغرب العثمانية (ليبيا حاليًا)، والتي اقام بها لمدة أسبوع واحد، وقد حظي باستقبال وحفاوة من قبل القنصليات الأوروبية بالمدينة؛ حيث كان في استقباله نائب القنصل البريطاني.

وكذلك نائب القنصل النمساوي، وقد حرص الوالي نفسه على استقباله، وأصر الوالي على أن يكون الاستقبال رسمياً، على عكس رغبة (سلفاتور) الذي كان يرغب بأن يتم معاملته كرحالة عادي بعيداً عن أية قيود رسمية، وقد سجل ملاحظاته عن مدينة بنغازي سواءً من الناحية الاقتصادية أو الاجتماعية، كما قدم وصفاً للمدينة وشوارعها ومساجدها واضرحتها، وفي 17 – أبريل غادر بحراً ليعبر خليج سرت متوجها إلى العاصمة طرابلس (Salvator, 1874, 38 ff).

وفي طرابلس تم استقباله بشكل جيد من قبل حاكم ليبيا (علي رضا باشا)، ومن كبار الشخصيات بمدينة طرابلس، وكذلك من قناصل الدول الأوروبية (Salvator, 1874,121 – 122) وقد استمرت إقامته في المدينة من 21 أبريل إلى 6 مايو، وفي طرابلس تركز اهتمامه على المساجد بشكل خاص، حيث كتب عنها تقريراً مفصلاً.

2 – رحلة الجغرافي جوزيف شافان (Josef Chavanne) 1876

وهو من مواليد مدينة (غراتس) سنة 1846م، وقد اكمل دراسته في الجغرافيا في جامعة (براغ)، وعمل مستشاراً في المعهد العالي للأرصاد الجوية في فيينا، كما إنه كان أحد محرري مجلة الجمعية الجغرافية النمساوية (Behn, 2004, 291)، وفي سنة 1869م قام برحلة إلى امريكا الشمالية وكوبا والمارتينيك (Umlauft, 1885, 41) وخلال سبعينيات القرن التاسع عشر قام بعدة رحلات في شمال ووسط افريقيا، وفي سنة 1885م هاجر إلى الأرجنتين، وتركزت دراساته هناك على المنطقة القطبية، وظل مقيماً في (بوينوس ايريس) حتى موته سنة 1903م (Behn, 2004, 291).

لقد جاءت رحلة (شافان) في الأراضي الليبية سنة 1876م، ضمن رحلة واسعة النطاق شملت مساحة كبيرة من شمال ووسط قارة أفريقيا، حيث انطلق (شافان) من مدينة طرابلس إلى مدينة مرزق – 900 كم تقريباً – التي كانت العاصمة الإدارية لإقليم فزان، ليتجه بعدها إلى واحة غات في اقصى جنوب غرب ليبيا، وبعد ذلك ينعطف شمالاً إلى واحة غدامس عند نقطة التقاء الحدود الليبية الجزائرية التونسية، وهنا يقرر (شافان) مواصلة الرحلة غرباً إلى واحات وسط وجنوب الجزائر (عين صالح – توات)، ومنها يتخذ طريقه إلى مدينة تمبكتو الواقعة ضمن أراضي جمهورية مالي حاليًا، ثم يغير اتجاهه شرقاً إلى منطقة تيبستي

– عند ملتقى الحدود الليبية التشادية حاليًا – ومن تيبستي يواصل الرحلة شرقاً الى شمال دارفور، ثم ينعطف شمالاً إلى واحة سيوة المصرية، القريبة من الحدود الليبية، وهنا يدخل (شافان) الأراضي الليبية مرة أخرى، حيث عاد إلى مدينة طرابلس مروراً بواحات اوجلة والجفرة (Chavanne, 1879, passim).

وكان (شافان) خلال هذه الرحلة يتجول في البلاد بِحُرية، ودون أية قيود أو مضايقات، لا من جانب السكان، ولا من قبل الأجهزة الأمنية والإدارية، وذلك لأنه عند وصوله إلى العاصمة طرابلس قد تحصل على (البيورولدي) وهو عبارة عن وثيقة رسمية تسمح له بالتجول داخل الأراضي الليبية، وقد اشاد بأهمية هذه الوثيقة وقوتها؛ إذ إنه بمجرد ابرازها تنتهي جميع العراقيل (Chavanne, 1879, 40, 51, 221) وهذا يعكس قوة السلطة المركزية في طرابلس في تلك الفترة وقدرتها على فرض الأمن في كافة أنحاء البلاد.

لكن (شافان) يُدلي ببعض الملاحظات السلبية عن الحركة السنوسية، وهي حركة دينية تأسست في منطقة الجبل الأخضر في أربعينيات القرن التاسع عشر، ثم تمددت إلى الجنوب في منطقة واحات جنوب برقة، كما إن لها بعض الزوايا في غرب وجنوب غرب البلاد، وفي الوقت الذي يؤكد فيه تعصب هذه الحركة، وكراهيتها للأجانب وتحريضها على قتلهم (Chavanne, 1879, 28, 51, 112, 587– 592)؛ إلا إنه قد مر خلال مناطق سيطرة الحركة دون أن يتعرض لأي اعتداء أو مضايقة؛ وبالتالي فإن هذه الانطباعات لا تستند إلى مواقف ملموسة، بل إن (شافان) يكرر فقط ما سمعه من الرحالة الأوروبيين السابقين.

وقد سجل (شافان) مشاهداته خلال هذه الرحلة في كتابه(Die Sahara: oder, von Oase zu Oase) (عبر الصحراء من واحة إلى واحة)، والذي صدر في براغ سنة 1878م في طبعته الأولى، ويُلاحَظ على هذا الكتاب أن مؤلفه – شافان – قد اطلع جيداً على كتابات الرحالة الأوروبيين الذين سبقوه، حيث إنه يستشهد بهم في معظم فقرات كتابه، ولكن إلى الحد الذي يجعل القارئ في بعض الأحيان لا يفرق بين مشاهدات الكاتب نفسه، وبين مشاهدات الرحالة السابقين الذين يستشهد بهم.

كما يبرز تساؤل لدى الباحث حول السرعة التي تمت بها هذه الرحلة؛ حيث تمكن الرحالة من قطع مسافة لا تقل عن 10000 كم تقريباً، في منطقة تتوزع بين سبع دول حاليًا ، ليبيا – الجزائر – مالي – النيجر – تشاد – السودان – مصر ، ثم العودة إلى ليبيا مرة أخرى، وذلك خلال ستة أشهر فقط، بالإضافة إلى عدم تطرق معظم الرحالة اللاحقين لهذه الرحلة، كل هذه المعطيات تجعلنا نتشكك في أمر هذه الرحلة، وإذا كان من غير المشكوك به حدوث هذه الرحلة، فإن انجازها على هذا النحو وخلال هذه المدة الزمنية يبقى محل شك.

ومما يدعم هذه الشكوك ما تداوله بعض الباحثين عن قيام (شافان) فيما بعد باقتباس فصول من أعمال باحثين آخرين ونسبها إلى نفسه، مما تسبب له بمشاكل بين الأوساط العلمية في النمسا (Holtorf,2019, 27).

3 – رحلة ليوبولد فون كسيلاغ (Leopold Von Csillagh): 1878 – 1879

وهو من مدينة (غراتس)، تخرج من أكاديمية (فيينا) للعلوم التجارية، حيث تشير سجلات هذه الأكاديمية إلى أنه قد التحق بالدراسة بها سنة 1866م (Wiener Handels Akademie, 1866, 103) وهذا يعني أن (كسيلاغ) ربما يكون من مواليد نهاية أربعينيات القرن التاسع عشر.

وفي اكتوبر سنة 1878م وصل إلى مدينة طرابلس ضمن بعثة استكشافية ألمانية، كانت تلك البعثة بقيادة الرحالة الألماني (غيرهارد رولفس) وكان الهدف منها هو الوصول إلى مدينة الكفرة في اقصى جنوب شرق ليبيا، ثم مواصلة الرحلة إلى مملكة (واداي) الواقعة في شرق جمهورية تشاد حاليًا، كانت هذه الرحلة تهدف إلى تعزيز الروابط الدبلوماسية بين ألمانيا وهذه المملكة.

اذ إن ألمانيا في تلك الفترة كانت تعمل على مد نفوذها في مناطق بحيرة تشاد وذلك انطلاقاً من قواعدها في الكاميرون، لقد عمل (رولفس) على اصطحاب عدد من الباحثين في تلك الرحلة؛ ربما لإضفاء صفة علمية على نشاطه وذلك للتغطية على مشاريع بلاده الاستراتيجية، وكان (فون كسيلاغ) من بين هؤلاء الباحثين، كما إن له خبرة في مجال الرحلة والاستكشاف؛ حيث سبق أن قام برحلة إلى القارة الأمريكية (Rohlfs, 1881, 24).

وقد انطلق (فون كسيلاغ) مع (رولفس) من مدينة طرابلس باتجاه الجنوب الشرقي حتى وصلت البعثة إلى مدينة سوكنة – 500 كم من العاصمة – في أواخر يناير سنة 1879م، وهناك انفصل (فون كسيلاغ) عن البعثة الألمانية والتي كانت بصدد الاتجاه شرقاً إلى واحات (جالو) و(أوجلة)، وبدلاً عن ذلك فقد قرر هو الاتجاه جنوبًا إلى واحات (فزان) في جنوب غرب ليبيا (Rohlfs. 1881, 24, 128 – 129).

وهنا يبرز تساؤل حول هذا الانفصال ما إذا كان تصرفاً ارتجالياً من (فون كسيلاغ) أو إنه كان مخططاً له مسبقاً، بالإضافة إلى تساؤل آخر حول الوجهة التي كان (فون كسيلاغ) ينوي السفر نحوها، والواقع أن المصادر لا تقدم كثيراً من المعلومات حول هذين التساؤلين، حيث إن بعضها يشير إلى أنه كان يريد السفر إلى مملكة (كانم برنو) على الضفاف الشمالية والغربية لبحيرة تشاد.

في حين أن نشاطه الفعلي قد انحصر داخل الأراضي الليبية، ومن المُرجح أن قرار(كسيلاغ) بالسفر جنوبًا لم يأتِ بشكل مفاجئ؛ إذ إن الرحالة النمساويين في تلك الفترة قد أبدوا اهتماماً ملحوظًا بأستكشاف

واحات الصحراء الكبرى، استناداً إلى رحلة (شافان) السابقة، كما إنه بالتزامن مع هذه الرحلة كان رحالة نمساوي آخر وهو (أوسكار لينز) ينطلق من طنجة في المغرب باتجاه مدينة تمبكتو (Furon, 1964, 35) وهذا يعكس اهتماماً نمساويا بأستكشاف هذه المنطقة، ومما يدعم استقلالية (فون كسيلاغ) عن البعثة الألمانية، أنه قد التحق بها على نفقته الخاصة، حيث التزم بدفع 12500 فرنك نظير انضمامه للمجموعة الألمانية، وهو من طلب الالتحاق بالبعثة (Maunoir & Duveyrier, 1880, 44) على عكس بقية رفاقه الذين تمت دعوتهم بطلب من (رولفس).

وقد وصل (فون كسيلاغ) إلى مدينة (غات) بالقرب من الحدود الليبية الجزائرية، حيث استقر لبعض الوقت في هذه المدينة، وبحسب تقاليد قبائل التوارق سكان مدينة غات؛ فإن أي رحالة أجنبي يجب أن يضع نفسه تحت حماية أحد زعماء التوارق، وقد اختار (فون كسيلاغ) الزعيم (محمد أق كوسا) حامياً له، وحفاظاً على حياته فقد انتحل شخصية رجل تركي مُسلم، وقدم نفسه باسم (شيلاك افندي) (Krause, 1882, 332 – 333)؛ إذ أن مدينة غات وضواحيها قد شهدت خلال الفترة السابقة لهذه الرحلة العديد من حوادث الاعتداء على الرحالة الأوروبيين، أدت إلى مقتل بعضهم، مثل الهولندية (ألكسندرينا تينا) سنة 1869م، والفرنسيين (دورنو دوبير) و(ايوجين جوبيرت) اللذان قتلا سنة 1874م (Casajus, 2020, 137)

ثم قرر السفر شمالاً إلى مدينة غدامس برفقة أحد تجار هذه المدينة وهو (الحاج الطاهر الباسيدي) حيث توطدت بينهما اواصر الصداقة خلال اقامتهما في مدينة غات، وفي مدينة غدامس اصيب (فون كسيلاغ) بمرض الدوسنتاريا، مما عجّل بسفره إلى العاصمة طرابلس، غير أنه قد مات قبل بلوغها وذلك في 29 / اكتوبر/ 1879م، وقد قام مرافقه (الحاج الطاهر) بنقل جثمانه إلى مدينة طرابلس، حيث تم دفنه في المقبرة الكاثوليكية، كما قام (الطاهر) بتسليم أوراق ومتعلقات (كسيلاغ) إلى القنصلية الإيطالية في طرابلس (Labi, 1879, 748 – 749).

إن موت (فون كسيلاغ) خلال الرحلة قد حال دون تدوينه لمشاهداته خلال تجواله عبر الأراضي الليبية، حيث لا يوجد أي كتاب أو حتى تقرير مقتضب من اعداده هو شخصياً، كما إن المصادر تكتفي فقط بذكر رحلته وموته بشكل موجز، حيث نجد الألماني (رولفس) عندما اصدر كتابه عن رحلته إلى الكفرة قد اكتفى بإشارات مختصرة فقط عن مرافقه النمساوي، ربما يرجع ذلك إلى موقف شخصي بسبب انفصاله عنه بشكل مفاجئ، كما إن مجلة الجمعية الجغرافية الإيطالية قد نعت (فون كسيلاغ) في تقرير مقتضب من صفحتين فقط في عددها الصادر سنة 1879م.

استنتاجات ختامية:

- إن ليبيا كانت مستهدفة بحركة استكشافية أوروبية انطلقت منذ مطلع القرن الثامن عشر، واستمرت حتى الاحتلال الإيطالي لليبيا سنة 1911م.
- مرت هذه الحركة ببعض فترات النشاط، كما شهدت أيضا بعض الفترات من الفتور الأقرب إلى الانقطاع التام.
- إن هذه الرحلات كانت تنطلق من دوافع متعددة: سياسية، اقتصادية، علمية، دينية.
- كانت الجنسيات الأوروبية الأكثر نشاطاً بهذا الصدد هي: الإيطالية، البريطانية، الفرنسية، الألمانية، على التوالي.
- كان نشاط الرحالة النمساويين ضعيفاً ومحدوداً في ليبيا خلال هذه الفترة، لكنه تميز بتركزه في فترة زمنية قصيرة، تنحصر ما بين سنتي 1873/ 1879م، لينقطع بعد ذلك؛ باستثناء رحلة قصيرة وخاطفة قام بها (ايسنشتاين) سنة 1902.
- تميز الرحالة النمساويين بأن رحلاتهم قد غطت معظم أنحاء الأراضي الليبية، حيث قام (سلفاتور) بإجراء مسح شامل على طول الساحل الليبي، كما قام (شافان) بزيارة معظم واحات الصحراء الليبية، في حين تجول (فون كسيلاغ) ما بين العاصمة طرابلس ومنطقة الجفرة في وسط البلاد، كما تجول في إقليم فزان جنوب غرب ليبيا.
- أما عن مناقشة دوافع هؤلاء الرحالة، فعلى الرغم من الطبيعة الشخصية لرحلة (سلفاتور) باعتباره أميراً يقوم برحلة سياحية، وكذلك الطبيعة العلمية لرحلتي (شافان) و(فون كسيلاغ)؛ إلا إن الأغراض السياسية لا تبدو مستبعدة؛ بالنظر إلى تزامن هذه الرحلات مع نشاط استكشافي نمساوي في قارة أفريقيا عمومًا، وفي منطقة الصحراء الكبرى تحديدًا، وهي مناطق متاخمة لليبيا؛ ما يوحي بأن النمسا كانت تضع هذه المنطقة ضمن اجندتها الاستراتيجية، حيث أن نشاط الرحالة النمساويين والأوروبيين عمومًا لا يمكن تناوله بمعزل عن توجهات بلدانهم السياسية.
- كانت السلطات المحلية في ليبيا متعاونة مع الرحالة النمساويين، حيث جرى الترحيب بهم أينما حلوا، ولم تسجل أية حالة اعتداء أو مضايقة لا من قبل الأجهزة الحكومية، ولا من قبل السكان، ولا حتى من قبل الحركة السنوسية التي كان الرحالة الأوروبيون جميعًا يخشون المرور عبر مناطق نفوذها.

- **قائمة المراجع**

1. Barratte, Gustave. & Durand, Ernest. (1910) Florae Libycae Prodromus, ou, Catalogue raisonné des plantes de Tripolitaine, Genéve.

2. Behn, Wolfgang. (2004) Concise Biographical Companion to Index Islamicus Bio-bibliographical Supplement to Index Islamicus, 1665-1980, Volume One (A-G), Brill, Leyden - Boston.

3. Benjamin, J.J. (1858) Acht Jahre In Asien Und Afrika Von 1846 bis 1855, Hannover.

4. Bruce, James. (1790), Travels to Descover of the sources of the Nile, Vol 1st, Dublin.

5. Casajus, Dominique. (2020) Henri Duveyrier: un Saint Simonien Au Desérte, Paris.

6. Chambers, Neil. (2024) the African correspondence of sir Joseph Banks: 1767 – 1820, Vol 3, Routledge, New York.

7. Chavanne, Josef. (1879) Die Sahara Oder Von Oase Zu Oase, Prag.

8. Feichtinger, Johannes. & Heiss, Johann. (2020) Interactive Knowledge - Making : How and Why Nineteenth - Century Austrian Scientific Travelers in Asia and Africa Overcame Cultural Differences, (Chapter in) How to Write the Global History of Knowledge - Making Interaction , Circulation and the Transgression of Cultural Difference, Edited by Feichtinger, Johannes et al, Cham – Switzerland.

9. Fitzmaurice, Andrew. (2021) King Leopold's Ghostwriter, The Creation of Persons and States in the Nineteenth Century, Princeton University press.

10. Furon, Raymond. (1964) Le Sahara Geologie Ressources Minerals, Paris.

11. Hildebrand, Gotthold. (1904) Cyrenaïka als Gebiet künftiger besiedelung Eine Landeskunde mit besonderer berücksichtigung der Wirtschaftlichen verhältnisse, Bonn.

12. Holtorf, Christian. (2019) Josef Chavanne, das ewige eis und die vorläufer der Klimadiagramme (von buch) Von Flaschenpost bis Fischreklame Die

Wahrnehmung des Meeres im 19 und 20 Jahrhundert, Edit von: Ruppenthal, Jens. Et al, Köln.

13. Jarecka – Stepien, Katarzyna. (2005) Polish Travelers in Libya, (in) The Maghreb Review, Vols 30/31.

14. Krause, Gottlob Adolf. (1882) Aufzeichnungen über die Stadt Chät in der Sáhărā . Zeitschrift Gesslschaft fur Erdkunde, Siebzehnter band, Berlin.

15. Krobb, Florian. (2024) Österreichische Reisende in Afrika um 1890 Oskar Lenz und Oskar Baumann : Chamäleons des Kolonialismus: von Standortbestimmungen zwischen Nähe und Ferne Studien zur österreichischen Reiseliteratur, Berlin.

16. Labi, Isach. (1879) il ritorno di G. Rohlfs e la morte di L. Csillach, Bollittino della Societá Geografica Italiana, Roma.

17. Mader, Brigitta. (2015) An Archduke With Method: Ludwig Salvator, Man and Science, in: Catalogue of the exhibition Jo, L'Arxiduc. El desig d'anar més lluny. Palma de Mallorca.

18. Maunoir, C. & Duveyrier, H. (1880) Desert Libyque, L'anne Géographique, Tome 17, Paris.

19. Panzac, Daniel. (2005), Barbary Corsairs: the end of the legend, 1800 - 1820, Brill, Eyden- Boston.

20. Rohlfs, Gerhard. (1881) Kufra: Reise Von Tripolis Nach ause der Kufra, Leipzig.

21. Salvator, Ludwig. (1874) Yacht Reise in den Syrten, Prag, 1874.

22. Seely, Jennifer. & Decalo, Samuel. (2021) Historical Dictionary of Togo, 4th Edition, London.

23. Stephen, Leslie. & Lee, Sidney. (1917), Dictionary of National Piography: From Earlest Times to 1900, Vol Xi, Oxford University press.

24. Thomas, David. et al. (2024) Christian-Muslim Relations: A Bibliographical History Vol 21, Brill, Leiden.

25. Umlauft, Fredrich. (1885) Berühmte Geographen , Naturforscher und Reisende . Dr. Josef Chavanne, Deutsche Rundschau für Geographie und Statistik, Band 7, Leipzig.

26. Walbiner, Carsten. (2021) Ferdinand Christian Ewald (in book) Christian-Muslim Relations. A Bibliographical History Volume 18. The Ottoman Empire (1800-1914), Brill, Leiden.

27. Wiener Handels Akademi, Jahres Bericht, wien, 1866.

28. Willink, Robert Joost. (2011) Fateful Journey, Amsterdam University press.

29. Wright, John. (2012), History of Libya, Hurst & Company, London.

30. Zabrodskaia, M. (1987) *Puteshestviia A.V. Eliseeva po Sakhare (1881-1893), "*Strany i narody Vostoka.

31. Zur Mühlen, Hermynia. (2010) The End And The Beginning: The Book of My Life, Vol 1, Cambridge.